الجدل السردي والسياسي في الرواية العربية المعاصرة

أ. د. مها فاروق الهنداوي

E.maha.alhindawy@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية

Narrative and Political Polemic in the Contemporary Arabic Novel

Prof. Dr. Maha Farouk Al-Hindawi
University of Baghdad - College of Education
Ibn-Rushd for Human Sciences
Department of Arabic Language
2026

المستخلص:

البحث محاولة لاستقراء ملامح ، وتشكلات العلاقة الجدلية القائمة على الدوام بين الخطاب الادبي ممثلاً بالرواية السياسية (اعجام) ((سنان انطون)، والخطاب السياسي في العراق قبل عام ٢٠٠٣ ، وقد كشف البحث بتوظيفه المنهج التحليلي في دراسة الخطاب، ومقولات النقد الأدبي في تعريف ، وخصائص الرواية السياسية عن ملامح ، وسمات البطل الاشكالي في هذه الرواية وهو يصارع قمع جلاده في الزنزانة تارة بالحلم والهلوسة ، واخرى بالكتابة التي لم يتخل عنها على الرغم من أنَّها كانت السبب الرئيس في دخوله المعتقل ، وتحوله الى بطل مضاد يناور خطاب السلطة المؤدلج بخطاب معارضٍ ، معجمٍ ، كلماته بلا ترتيب منطقيّ وحروفه بلا نقط ، وخط كتابته شائك ، لكنَّه خطاب مقاوم ضد التهميش ، والنسيان، ووثيقة شهادة على استعداد السلطة، وقمعها للكلمة المضادة والحرف المناورة.

الكلمات المفتاحية: الرواية السياسية– البطل الاشكالي، السلطة، الخطاب المضاد، اعجام.

Abstract

This study aims to examine the contours and configurations of the dialectical relationship between literary discourse—exemplified by Sinan Antoon's political novel I'jaam—and political discourse in pre-2003 Iraq" by employing a discourse analysis approach alongside literary critical frameworks defining the political novel and its features, this study reveals the contours of the problematic hero (le héros problématique). Within the narrative, he battles the oppression of his tormentor inside the cell through dreams and hallucinations, as well as through the act of writing—a practice he refuses to abandon despite it being the primary cause of his imprisonment. Ultimately, he evolves into an anti-hero who maneuvers against the regime’s ideologized discourse. He counters it with a dissident, ambiguous text whose words lack logical sequence, whose letters are unpointed, and whose script is obscure; yet, it remains a resistant discourse against marginalization and oblivion, standing as a testimonial document to the regime's authoritarianism and its suppression of opposing words and evasive script.

Key Words: Political Novel, Problematic hero, Power , Counter – discourse , I'jaam.

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول : الاطار النظري والمفاهيمي

١. الاطار النظري

أ. المقدمة...

((صراع الفرد ضد السلطة هو صراع الذاكرة ضد النسيان)) ، ميلان كونديرا

لما كانت السياسة فكراً ، وممارسة فإنَّها تمارس فعلها في الفرد ، والجماعة على حدّ سواءٍ عبر اداتها التي تمثل وجودها المادي ، والرمزي وهي (السلطة) التي نظر اليها ميكافيلي ببراغماتية محضة بوصفها اداة الحاكم للحفاظ على النظام ، والدولة ولو كان ذلك على حساب المبادئ ، والاخلاق ، فمن الافضل عنده للحاكم أن يُهاب ، على أن يُحب إذا لم يكن قادراً على الجمع بين الاثنين ... ومثله الفارابي الذي رأى فى في (الرياسة) (السلطة) ضرورة لتحقيق السعادة في المدينة الفاضلة.

لقد باتت (السلطة) ترادف (القوة) عند الكثير من الفلاسفة إذا هي ((علاقة قوة ، أي القوة التي تقبض عليها مؤسسة، أو حالة اجتماعية ، أو طقس ، أو شعيرة أو قانون، أو قيمة)) (صفدي ، ١٩٩٠، ص٩٥). هذا ما يراه ميشيل فوكو فيها اما التوسير فيرى أنَّ سلطة الدولة تظهر عبر جهازين هما جهاز الدولة القمعي. متمثلاً بالحكومة ، والادارة، والجيش ، والشرطة ، والمحاكم والسجون، واداته في كل وقت وحين هي (القمع) ، وجهاز الدولة الايديولوجي وتتمثل بالمؤسسات الدينية، والتعليمية، والعائلية، والمؤسسات السياسية، والحقوقية، والاعلامية والنقابية... (ينظر : هويدي ، ٢٠١٨ ، ص٣١).

ب. مشكلة البحث

لو بحثنا في اطار علاقة الأدب بالسياسة ، يشير الدارسون دائماً الى نمطين من العلاقة بينهما ، اما أدب مؤدلج فكراً ، وخطاباً ، منحازٌ إلى السلطة ، ومؤيدٌ لها، وإما أدبَ حرٌّ فكراً ، وخطاباً ، معارضٌ لها ، وناقدٌ لسياساتها ... والحقيقة أنَّ العلاقة بين الأدب، والسياسة علاقةٌ شائكةٌ على مرّ التاريخ، وهي في افضل حالاتها بين مدّ ، وجزر ، متأرجحةً بين الاحتقار، والانتماء والانغماس (صابي ، ٢٠١٤ ، ص٤٥) . ةهذا البحث يسعى الى الكشف عن اواصر هذه العلاقة الجدلية بين الادب والسياسة ممثلة بالنوع الادبي المسمى رواية سياسية .

ج. فرضية البحث

إنَّ العلاقة بين السلطة، والنص الأدبي علاقة جدلية على الدوام ، فالنص الأدبي نتاجٌ طبيعيٌ ، وحتميٌ للخطاب. السياسي السائد في مجتمع ما . فإذا كان الخطاب السياسي للسلطة هو (الفعل) ، فإنَّ الخطاب الأدبي هو (رد الفعل) على ذلك الخطاب ، لماذا ؟ لأنَّ الخطاب السياسي يمارس على الدوام دوره الفاعل في انتاج النص الأدبي بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشرٍ عبر تأثيره الظاهر، والضمني على الذات المنتجة لهذا النص وهو (الاديب) او (الكاتب) وذلك عبر تأثيره على وعي الكاتب ، وإحساسه بالوجود من حوله ، وعبر فعله (الرقابي) وفي كثيرٍ من الاحيان (القمعي) و(التوجيهي) لهذا النص .

ولكنَّ هذا الخطاب السياسي سيتحول في مرحلةٍ لاحقةٍ وبعد أن تُكتب الحياة أيّاً كان شكلها للنص الأدبي بعد نشره إلى متلقٍ له – شاء ذلك أم أبى – فيكون خاضعاً لأثره في قراءه ، ومتلقيه الذين قد يتحولون في كثير من الأحيان الى مقاومين ، ورافضين

لهذه السلطة، وخطابها ، بعد قراءاتهم التفكيكية التي تكشف عن البنية العميقة، والمسكوت عنه في ذلك النص.

د. أهداف البحث

النص الذي يحاول أن يقف بوجه السلطة السياسية قد يكون شعراً ، وقد يكون نثراً ، وما يهمنا في هذا المجال النص النثري السردي الفاعل جمالياً (ادائياً) ، وسياسياً (فكرياً) عند القارئ عبر ما عرف عند النقاد عرباً ، وغربيين بـ(الرواية السياسية) التي شُغلت ، ولمَّا تزل بضرورة التغيير الاجتماعي ، والسياسي للواقع عربياً ، وعالمياً في أثناء نقدها لهذا الواقع ، ومحاولتها الكشف عن مخاضات التغيير الكامن فيه ،(عطية ، د.ت ، ص١٠). فما الرواية السياسية ، ولماذا تُكتب ، وما خصائصها الفنية ، والموضوعية وملامح البطل الاشكالي فيها ؟! كل هذه أسئلة سنحاول الإجابة عنها بتحليلنا لرواية (اعجام) لـ(سنان انطون) التي تعدُّ رواية سياسية تنتمي إلى أدب السجون .

هـ. منهج البحث

اعتمد البحث المنهج التحليلي في قراءته لنص (اعجام) لـ(سنان انطون)، مع عرض ما جاء من احداث ومشاهد في هذا النص على مقولات النقد الادبي في خصائص وبنية الرواية السياسية تحديداً .

و. حدود البحث

حدود البحث هي رواية اعجام للكاتب العراقي المغترب في امريكا سنان انطون الصادرة عن منشورات الجمل ، بغداد ، ٢٠١٣ .

ز. هيكلية البحث

تشكل البحث من اطارٍ اولٍ نظريّ ومفاهميّ ، ومن ثم اطارٍ ثانٍ تطبيقيٍ وتحليليٍ اما الاطار النظري فاشتمل على مقدمة ، ومشكلة البحث ، وفرضيته ، واهدافه ، ومنهجيته ، وحدوده ، وهيكليته . واما الاطار المفاهيمي فقد جاء تمهيداً لمفهوم الرواية السياسية وتعريفاتها ، ومقولات النقد في خصائصها الفنية وكان بعنوان (عتبة اولى) . اما الاطار الثاني التطبيقي فقد قدم قراءةً نقديةً تحليليةً لرواية اعجام في ضوء مقولات النقد في الرواية السياسية ، وخصائصها وشتمل على مباحث : العنوان مفتتحاً سردياً ، وخطاب السخرية ، وفرات بطلاً اشكالياً . وختم البحث بخاتمة بأهم الاستنتاجات التي توصلت إلها الدراسة ومن ثم التوصيات والمقترحات ، ومن بعدها قائمة بالمصادر العربية والاجنبية التي اعتمدها البحث.

٢. الاطار المفاهيمي

عتبة أولى...

حاول الكثير من الباحثين تعريف الرواية السياسية ولعل من ابرزهم على المستوى الغربي(جوزيف بلو تتر) في كتابه (الرواية السياسية) إذ وجد أنها تلك الرواية التي تصف ، وتفسر ، وتحلل ظاهرة سياسية بشكل مباشر ، وواضحٍ وصريحٍ ، مشيراً الى ضرورة استثناء الروايات التي تعالج القضايا السياسية بشكل مجازي ، أو رمزي أو غير مباشر (ينظر: Blotner, 1955, P.2) .

اما الناقد الامريكي (ايرفنج هاو) فقد عرَّفها بأنَّها الرواية التي تلعب فيها الافكار السياسية الدور الغالب او التحكمي Howe , 1960 , P.16-17) ولكنه لم يشترط ضرورة أن يعبر عنه هذه الافكار بطريقة مباشرة صريحة وواضحة. وإما د. طه وادي فيرى أن الرواية السياسية مزيج من ((رواية فنية مثل أيَّة رواية مكتملة عناصر

التشكيل ووجهة نظر سياسية تشكل قضية رئيسية فيها)) (وادي ، ٢٠٠٣ ، ص٦). وهو يرى أن وظيفة الروائي السياسي هي أن يظهر العلاقة بين النظرية والتجربة ، بين الايديولوجيا والعواطف والعلاقات التي يحاول أن يقدمها))(وادي ، ٢٠٠٣، ص٥٠) ولكنَّه لا يشترط أن يكون كاتب الرواية منتمياً بالضرورة الى حزب من الاحزاب ليتمكن من كتابة رواية سياسية ، لكنَّه يجب أنَّ يكون ((صاحب ايديولوجيا)) يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني (السيد اسماعيل ٢٠٠٩ ، ص٢٤). ومن الباحثين من يعدُّ كل رواية تقدم رؤية سياسية لقضية من قضايا الواقع السياسي عبر بنية فنية وجمالية روايةُ سياسيةُ سواء كان ذلك عبر الأسلوب الحر الصريح المباشر ام كان عبر روايات الاسقاط السياسي الذي يوظف التاريخ ، والرمز ، والتراث، وسواء كانت احداث هذه الرواية تجربة فعلية عاشها الكاتب أم لا .(ينظر : حسين ، ١٩٩٤ ، ص٢٤) . بينما من الباحثين من يعول على تعدد، وتكرار الاشارات المباشرة الى المواقف، والإحداث، والشخصيات القائمة خارج النص الابداعي بأسمائها المعروفة تاريخياً فضلاً عن تحكم هذه الشخصيات بمصائر الاشخاص ، وتحولات الاحداث في النص السردي ليحكم على هذا النص بأنه نصٌ: سرديٌّ سياسيٌّ (ينظر: فضل ، ٢٠٠٣ ، ص٢٦) ، اما د. محمد السيد اسماعيل فيحكم على الرواية بأنَّها روايةٌ وسياسيةٌ انطلاقاً من معيار واحد فقط هو (الايديولوجيا)، ولكن ليس أيَّة ايديولوجيا ، بل تلك ((التي تكشف اليات ممارسة السلطة في مستوياتها السياسية والاجتماعية والمعرفية وفي دوائرها الثلاثة القطرية والقومية والعالمية)) (السيد اسماعيل ، ص٢٦) . ولكن أيَّاً ما كان تعريف الرواية السياسية فإنَّ اغلب النقاد والدارسين لها يؤكدون على ضرورة أن لا يطغى الايديولوجي على الجمالي فيها . فالرواية السياسية ليست منشوراً سياسياً ، او ولافتات سياسية مضادة ، بل تعبير أدبي ، جماليٌّ بالضرورة عن

واقع مرير، وأزمة وعيّ ، وحقٌ في حريةٍ مسلوبةٍ وإنسانيةٍ مهمشة, الأصل فيها للنوع الادبي السردي بكل متطلبات وجوده الجمالية ، والبنائية كفعلٍ سرديّ لا للخطاب الايديولوجي التقريري والمباشر.

الرواية ذلك النوع الادبي الذي انتجته لنا المدينة، تحت مظلة المذهب الواقعي في الفن والأدب وبخاصة منه مذهب (الواقعية الجديدة) الذي عنى بتصوير البسطاء، والمهمشين ومن هم في قاع المجتمع بأسلوب التقريرية، والمباشرة التي لا تجميل فيها ولا الوان للتغطية على الواقع المرير عبر موقف كرنفاليّ من العالم كما يقول باختين .. فكان هذا النوع الأدبي اقدر من غيره من الأنواع الأدبية، والسردية منها على وجه الخصوص على تقديم الرؤية الشمولية للواقع والوجود بحكم قدرتها على الامتداد الزمانيّ، والمكانيّ ، والتعدد اللغوي، والخطابي، ولعلُ هذا من أبرز ما يتطلبه التعبير عن الواقع السياسي المأزوم في أي بقعة من العالم ... فإداً ما تعضد ذلك بوعي الكاتب المثقف الناقد للأوهام الايديولوجية ، والبنى الاستبدادية على امتداد مساحة نصٍ أدبي يشتبك فيه (البطل الاشكالي)، و(السرد) مع (السياسة) وتسلطها، ويحتدم فيه الصراع الوجودي بين البطل الاشكالي الواعي فكرياً، والمأزوم ايديولوجيا ، والعاجز عن الحركة سلوكياً – كما يعرفه لوسيان غولدمان – والسلطة المتعالية عليه، والمتخندقة كقوة شموليةٍ غاشمةٍ نتجت لنا رواية قوامها الوعي المضاد الرافض للخنوع ، والاذلال ، والمسائل لأدوات القهر أدبياً عبر مساحة من المفاوضات النقدية الكاشفة لزيف، وفساد الخطاب السياسي السلطوي ، والمتصارعة مع غيرها من الخطابات المضادة ، والايديولوجيات المتبانية ولكن هذه المرة بنهاياتٍ سائيةٍ حيث لا حقيقة واحدةً مطلقةً.

لقد تباين الروائيون الغربيون عن العرب في توظيفهم للرواية السياسية في معرض التعبير عن الواقع السياسي ونقده ، ففي حين وظف الروائيون الغربيون هذا النمط الروائي لتشريح بنية السلطة الحاكمة ، وتصوير الصراع الفكري، والايديولوجي في مجتمعاتهم فكان نتاج ذلك روايات الكاتب البريطاني (ارثر بلير) الذي كتب باسم مستعار هو (جورج اورويل) التي عنيت غالياً بنقد الانظمة الشمولية ، والظلم الاجتماعي واشهرها روايتاه (١٩٨٤) و (مزرعة الحيوان) ، و (خريف البطريرك) لماركيز ، و(كائن لا تحتمل خفته) لميلان كونديرا و(حفلة التيس) لماريو بارغاس يوسا و(عتمة الظهيرة – اسوار الشفق) لأرثر كويستلر. جاء توظيف الروائي العربي للرواية السياسية للتعبير عن الاستبداد والقهر ، والخيبات التي عاشتها الامة العربية على مرَّ تاريخها الحديث ، فضلاً عن ازمات الحرية، والتعبير ، وكبت الحريات عبر الاعتقال والتغييب القسري ، والجدل الأزلي بين المثقف والسلطة فكانت نصوص من مثل (الكرنك) و(يوم قتل الزعيم) لنجيب محفوظ ، و (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف، و(رجال في الشمس) لغسان كنفاني و(تلك الرائحة) و (شرف) لصنع الله إبراهيم ، و(القلعة الخامسة) لفاضل العزاوي و(يا صاحبي السجن) لأيمن العتوم وغيرهم الكثير ممن كتب في أدب السجون ، وقضية. التطبيع ، وثورات الربيع العربي..

٣. الاطار التطبيقي

العنوان مفتتحاً ...سردياً...

العجمة عند العرب غموض الدلالة ، واستعصاء المعنى اما فعل الاعجام فيشير الى وضع النقاط على الحروف المتماثلة في العربية مثل (الياء)، و(التاء)، و(الثاء)، و(الحاء)، و(الجيم)، و(الخاء) وامثالهم من الحروف التي نمايز بينها بالتنقيط ، فتستبين الدلالة ، ويظهر المعنى، ويفك اللبس. (ينظر : لسان العرب مادة عجم) . اما الراوي فرات في هذه الرواية فقد وظف هذه الدلالة التي جاءت عنواناً لنصه وهو معتقل سياسي في مديرية الامن العامة في بغداد عام ١٩٨٩ ، إذ كتب مخطوطة على اوراق كان يتفضل به عليها احد السجانين ولكي يعمي معنى ودلالة ومقصدية ما كتب على السلطة عمد الى اسقاط النقاط عن الحروف في الكلمات ، بل اكثر من ذلك فقد تلاعب بترتيب الحروف في الكثير من الكلمات في هذه المخطوطة ليظل معنى ما كتب مبهماعند سجانيه ، مما يهيء له فرصة للهرب من سطوة الرقيب على فعله الكتابي إبان اعتقاله في مديرية الأمن العامة ، وبالفعل تقع هذه المخطوطة في يد السلطة فيصدر كتاب سريٌ ، وعاجلٌ من مديرية امن بغداد الى من يهمه الامر يطلب تكليف (أحد الرفاق) بقراءة هذه المخطوطة وفك طلاسمها بعد اعجامها ليتمكنوا من الوقوف على مقصدية كاتبها وتوجهاته الفكرية، والسياسية، بل وليعرفوا من هو من بين سجنائهم, هذا هو الكتاب الرسمي الذي صدر به سنان انطون روايته كعتبة ثانية بعد عتبة العنوان الاولى – ليجيء رد المكلف بإعادة قراءة هذه المخطوطة وهو المدعو (طلال احمد) عبر تقرير آخر الحقه سنان انطون في خاتمة روايته يُقرُّ فيه هذا ال(طلال احمد) بأنَّ ((النص عبارة عن خواطر غير متسلسلة ، وشاهداتٍ، واستذكاراتٍ غير منطقية كتبها أحد السجناء)) (الرواية ، ١٢٥) . لكنّ هذا النص يظلُّ عصياً على السلطة فهمه ، والكشف عن مضامينه، او عن هوية كاتبه فهذا المكلف بقراءة النص يصرّح في موضع آخر من تقريره بأنَّه قد زوَّد النص بالهوامش

في أكثر من موضع للأشارة الى ما قد ((قد)) يرمي إليه كاتب النص بعد أن وضع الفواصل ، والنقط ، هذا فضلاً عن تصريحه بأن ((الخط عموماً كان في غاية الرداءة والصعوبة)) (الرواية ، ١٢٦). حالة التيه ، وتعدد التأويلات بسبب تعدد المعاني التي تشير اليها الكلمات المعجمة مع ما صاحبها من رداءة الخط كانت الفعل الكتابي المقاوم الذي جابه به الراوي فرات جلاديه في المعتقل، بل واستمد منه القدرة على الاستمرار والمطاولة . بل لقد تجاوز فعل المقاومة الى فعل السخرية من جلاديه وهم منهمكون في فك شفرات هذه المخطوطة . فعل اعجام الكلمات بسلبها نقاطها ، وتغيير ترتيب حروفها ظلٌ وفعلاً مقاوماً يطارد قرات حتى في احلامه ، وكوابيسه في زنزانة المعتقل فقد رأى في أحد كوابيسه أن عناوين الجرائد اليومية التي كانت تشتريها له جدته قبل اعتقاله هي الأخرى بلا نقاط ، وأن صور الناس الذين كانوا على صور صفحاتها بدون عيونٍ – أيضاً فأصيب بالرعب ، وخرج إلى الشارع يعدو ليرى ان كل العلامات ، والاعلانات ، ولوحات السيارات بلا نقاط (الرواية ،١٩).

إنَّ فعل فقد الحروف لنقاط تمايزها عن بعضها البعض وفقد الوجوه لعيونها التي تمنحها معناها ودلالته إشارة واضحة إلى الأثر النفسي للاعتقال ، والاضطهاد النفسي الذي عاناه الراوي في المعتقل ، فقد كل شيء من حوله معناه ، وصار بلا جدوى كما فقدت الحروف نقاطها، والوجوه عيونها . بل لقد بات فعل الكتابة عند الراوي مساوياً في المعتقل لفعل (الجنون) ، يتساءل فرات مع نفسه وهو في زنزانته : (ما الذي يمكن أن تحدث ؟ سيظنون أنني جُننت وحتى لو وجدوا وريقاتي فلن يتمكنوا من فهم خطي السنسكريتي الذي كان يشكو منه استاذ اللغة العربية في المتوسطة ويسميني ((أبو الجنيب)) (الرواية ، ٢٠) .

لقد أحس قرات في سجنه ، بل ولمس حقيقة زيف خطاب السلطة ، وفعله الايهامي الموجه لفكر الفرد والمجتمع ، إذ ظلّ قرات يردد في ساعات هلوسته وهذياناته وهو وحيد داخل زنزانته بعد(حفلات التعذيب الليلي) التي كان هو ضيف شرفها في الكثير من الاحيان والتي لم تخل من سلبه لكرامته، وشرفه الانساني باغتصابه وهو مقيد اليدين ، ظلَّ يردد (المقولة الفخ) (للقاعد) التي خاطب بها كل صاحب قلم بأن يكتب بلا تردد ، أو تخوف خشية ان تكون الدولة غير راضية عما يكتب .. حتى باتت شعاراً دون على الكثير من اللافتات والحيطان في الكثير من مؤسسات الدولة آنذاك وهو في سجنه يلمس زيف هذه المقولة الفخ فقد كتب وكتب بلا تردد أو خوف فكان مآله زنزانة السجن في مديرية الامن العامة بل أخذ يشكك في أنَّ جلاديه قد تصبوا له فخاً عبر هذه المقولة ليوقعوا به فبدأ يتساءل : (لماذا اكتب ؟ لماذا لا اكتب ؟ الكتب ام أكتبه ؟ ... هل ادخلوني هنا لأن احدهم كتب عني ؟..."(الرواية ٩٨) ، ولكنه يسلم في نهاية الأمر بأن الأمر سيان "كتبوني الى هنا أو كتبت نفسي وسأكتب جروحي" (الرواية ٩٩).

خطاب السخرية...

لقد اتخذ الراوي (فرات) قبل سجنه من التلاعب بترتيب الكلمات، والصور من قلبها التي ترد في الاغاني الوطنية ، والشعارات والقصائد التي كانت " وزارة السخافة والايهام، والتي ويريد بها وزارة (الثقافة والاعلام) وسيلة لتفادي الجنون يقول " : لكي لا أصاب بالجنون إزاء الاغاني والشعارات والقصائد التي كانت وزارة السخافة والايهام تقصفنا بها يومياً كنت اتلاعب بترتيب الكلمات والصور... على هواي ، وبما يتلاءم مع مزاجي " (الرواية ١٤) .

ويقول في موضع آخر: " هه كيف نسيت اننا نعيش في احتفال عبث دائمي منذ عقود يشرف عليه حرب العبث نفسه" (الرواية ١٨). ويصف تجمع الطلبة في أحد الايام في باحة كلية الاداب بجامعة بغداد لانتخاب ممثليهم في اتحاد الطلبة بأنه " هرس ديمقراطي" (الرواية ٣٥) ، وليس عرساً ديمقراطياً كما كانت تصفه السلطة البائدة، بل هو من شدة سخريته من فعالية الديمقراطية الزائفة هذه كتب مرة في ورقة الانتخاب اسم (ميكي ماوس) بدلاً من اسم من يختار من المرشحين من الطلبة (الرواية ٣٥) .

اما لفظة (القائد) فهو يحولها الى لفظة (القاعد) على مدى الرواية .(ينظر الرواية ٣٨ – ٣٩ – ٤٥ ..) و(٨ شباط عنده هي "عروس الفورات) لا عروس الثورات كما كانت تطلق عليها السلطة البائدة(الرواية ٤٤) . وهو يسخر من مسيرة طلابية يدعى اليها الطلبة في الجامعة احتفاء بالنصر كما تدعي السلطة ففي حالة كهذه "تتوقف المسيرة التعليمية لتستمر المسيرة النضالية الثورية" (الرواية ٥٩) ويتواصل الراوي فرات على مدى الرواية بقلب المعاني والالفاظ عبر التلاعب بحروفها وتسلسل الحروف في الكلمة الواحدة فهو بخبر حبيبته اريج في الجامعة بعدم رغبته في حضور" محاضرة السخافة" ، ويريد بها محاضرة درس (الثقافة القومية) التي كانت تفرض على الطلبة آنذاك (الرواية٧٦). فمدتها ساعتان متواصلتان درسوا فيها في السنتين الأولين " ايديولوجية العبث" (الرواية٨٤).

لقد خسر فرات كذلك من خطاب السلطة القمعي المتسم بالتناقض، والجهل على مستوى الاسلوب وعلى مستوى التأويل ، فقد اصدرت السلطة فرماناً الى وزارة الداخلية لتوزيع قائمة الكلمات الاساسية على الشعب ليكون حارساً للمعنى (الرواية ١٠١). ومنعت السلطة اللغات الاجنبية ، واللهجات المحلية التي تشجع على الانفصال عن

الوطن إلا بلهجة (الرئيس القاعد) ، وقضت " بايقاع عقوبة الاعجام بكل من تسول له نفسه نشر الغموض والايهام وتعاطيهما والمس بوضوح المعنى الذي ضحى من اجله الشهداء بدمهم الغالي" (الرواية١٠٢). وهذه السلطة تعاقب كل من يقترف جريمة التفسير بصورة انفرادية" خارج اطار لجان التحقيق الرسمية التي ستتشكل بالتنسيق بين وزارتي الداخلية والثقافة " المخولتان الوحيدتان بالتعامل مع النصوص وتفسيرها (الرواية١٠٢) ، هذا فضلاً عن المنع البات لـ (استيراد السياقات الاجنبية الى داخل الوعي الوطني " (الرواية ١٠٢) . وفي هذا فعل تجهيل متعمد للوعي الانساني الفردي ، وقولبة لنصه الابداعي ليكون مقيداً داخل أطر اسلوبية وتأويلية محددة من قبل السلطة وحدها.

فرات .. بطلاً إشكالياً

تؤكد الكثير من الدراسات النقدية على ان الكاتب الملتزم بقضايا شعبه ووطنه هو كاتب معارض بالضرورة ، كما تؤكد الكثير من الدراسات على أن البطل في الرواية السياسية هو في المجمل" بطل اشكالي" بالمفهوم الذي عرفه (لوسيان غولدمان) (وادي ،٢٠٠٣ ، ص٢٠) . إذن فرات نموذج للشباب الواعي ، المثقف لنفسه بنفسه، لكن وعيه هذا يجعله رافضاً للسلطة وخطابها القمعي والمزيف، ومجابها لهذا الخطاب بخطاب آخر مقاوم يدونه معجماً في المعتقل ، وهو في كل مرة يدون فيها شيئاً يساءل نفسه : " هل ستخرج هذه الكلمات من عزلة هذه الاوراق ومن بياضها ؟ أم أنَّها ستنتهي في معدة جرذ مخضرم ؟ " (الرواية ١٠٠). بل إنه يتشبث ببقايا عقله ليناور جلاده في المعتقل تارة عبر التداعى الحر للأفكار والذكريات داخل الزنزانة متنقلاً في السرد بين الـ (هنا) الذي يمثل واقع السجن ، وبين الـ (هناك) الذي يمثل ذكرياته في البيت مع الجدة الكلدانية المصلاوية الملتزمة دينياً ، وفي الجامعة مع الاصحاب،

والحبيبة (اريج) (ينظر الرواية ٥٩ ،ص ٧١)، فهو متأرجح مكانا بين (هنا) و(ك) على مدى السرد. يقول فرات واصفاً استيقاظه من احدى كوابيسه في الزنزانة : "استيقظت لأجد نفسي هنا(ك)، تقرفصت امام جدار هذا الكابوس الشاسع ووضحت أذني عليه. سمعت همهمة وأنيناً متقطعاً ، ضربت الجدار بكل ما تبقى لي من قوة ، وصرخت بأعلى صوت : من هناك ؟ .... أخذ فتات الكابوس يمتزج بدمي ولعابي ودموعي ...." (الرواية ٧١) .

وهو تارة أخرى يتشبث بالهلوسة والهذيان ليقارع جلاده ، فهو يرسم علامة استفهام وينظر اليها لساعات ليتخيل أنَّها تبادله النظرات ، وأنَّها منحته ذاتها ليفعل بها ما يشاء " سويت انحناءة خصرها ، وحولت نقطتها همزة فصارت كافاً ك ت ب .. كتب ، كتب ، كبت ، استكتب ، اكتب – اكتبوا ..." (الرواية ٩٨) لنلاحظ كيف يركز على مادة (كتب) وحروفها على مدى الرواية لماذا؟ لأن فعل الكتابة بحسب وعيه في السجن هو الذي أودى به إلى الاعتقال سواء ما كتبه هو عن السلطة او ما كتب عنه من تقارير أودت به الى الاعتقال، والتعذيب. ولأن فعل الكتابة هو الفعل الاكثر ضغطاً عليه وعلى تجربته سواء عندما كان خارج المعتقل أو داخله وهو مع هذا كله يعيش حالة استفهام كبرى يساءل فيها ذاته، ووجوده عما حدث وما سيحدث مع ايمانه بأن علامة الاستفهام التي تشير الى غموض وسؤال عميق في داخله يمكن ان تتحول في لحظة ما الى حرف مثل (الكاف) ليشكل منها مع حروف اخرى كلمات لا منتهى لها تجيب عن تساؤله عن ما جرى، وسيجري. وهو إذ يتساءل عن جدوى فعل الكتابة داخل الزنزانة على خطورته : "لماذا اكتب ؟ ، لماذا لا اكتب ؟ اكتب أم أكتب ..." (الرواية ٩٨) ، يظل مقاوماً جلاده بسلاح الغموض والتعمية يقول " : سأفقأ عين ، وحتى غين ، من يحاول قراءتي ..." (الرواية ٩٨).

فرات في لحظات انهيار وعيه وتخبطه بين ال(هنا) والـ (هناك) يمارس قسراً فعل الهلوسة ، والهذيان ويعترف بأثر اغتصابه نفسياً ، وجسدياً على وعيه، واحساسه بالوجود من حوله يقول : " ربما انتصروا فعلاً بكل ما كتبوه عنوة على جدران الذاكرة واللاوعي في الداخل والخارج ، من شعارات تفوح منها رائحة البول وكل النفايات التي تجثم في دهاليز رأسي وجسدي وشوارعها" (الرواية ٣٨) ، حتى اذا اراد ان يتخلص منها جميعا تساءل عن الوسيلة الى ذلك قائلاً : "كيف لي أن اطردها كلها من دون أن أموت أو أصاب بالجنون الكامل" (الرواية ٣٨) . لهذا كله فقد فرات الاحساس بالزمن في زنزانته يقول: " بحثت عن تقويم على الجدار لكني لم أجد شيئاً. فقدت الوعي عدة مرات وفقدت تسلسل الأيام الذي حرصت عليه من البداية"
(الرواية ٤٩) .

وتساوى عنده الاحساس بالأمكنة على تنافرها ، واختلاف جغرافيتها في الـ (هنا) عنده قد تساوي ، أو تعنى ال(هناك) والعكس صحيح لاختلاط صورهما في ذاكرته المأزومة في المعتقل ، يقول : "هنا ...ك" هنا وهناك، هنا أو هناك ، هناك هناك ، هنا كهناك ،هناك كهنا .... ك، الكاف حرف تشبيه " (الرواية ٧٤) . اذن حرف (الكاف) الذي هو حرف يفصل في المعنى بين الهنا والهناك فتكون (هنا) مسافة مكانية أبعد اذا ما أضيف إليها ليجعلها (هناك) . هو ايضاً قادر على جعل الـ (هنا) وهي زنزانته في مديرية الأمن العامة، بل مديرية الأمن العامة كلها تشبه ، وتماثل الـ (هناك) التي تعني عنده كل ما هو خارج مديرية الامن العامة من بيت الجدة، وكلية الآداب في الباب المعظم وقسم اللغة الانكليزية فيها، والشارع ،وبغداد، وبيت أريج حيث كل شيء مباح . بهذا الحرف الواحد (الكاف) الدال على التشبيه ينتقل فرات وعيا واحلاماً ، وهلوسات من هنا من زنزانة مديرية الامن العامة حيث المكان المغلق ، المعادي الى

هناك حيث الامان والحب، والحرية ، ودفء بيت الجدة ، والحب الباذخ في بيت أريج ..

هذا التيه الزماني والمكاني الذي يعيشه الراوي فرات في الزنزانة ينسحب تدريجياً على وعيه، وذاكرته وعجزها عن توثيق اللحظة الراهنة... فيوثقها بالكتابة يقول : " بياض الورق يغويني بحرية التسكع في عزلتى ، سأهشم سطح الصمت بهذياني ، قد تتحول الكلمات الى كائنات خرافية تحفر نفقاً الى هناك او مواشير اعلقها حولي لأطل على شيء ما" (الرواية٩٨) لنلاحظ هنا كيف يلوذ فرات بمضادات اللحظة الراهنة التي يعيشها في الزنزانة ليظل على قيد الوعي ، بياض الورقة عنده كأرض شاسعة تغويه بالتسكع فيها على الرغم من سجنه الانفرادي الذي يفرض عليه عزلة خانقة فلا يلتقي بأحد، ولا يكلم أحداً . وهو يقابل الصمت المطبق في الزنزانة بالهذيان ، فيتخيل الكلمات التي سطرها على الورقة وقد استحالت الى كائنات خرافية لها قدرة خارقة على اختراق الجدار ، والصمت المطبق الى حيث ال (هناك) حيث الحرية، والحياة..

وتارة اخرى يتخيلها مواشير يعلقها حول عنقه ليطل على شيء ما اي شيء ، المهم ان يحطم جدران عزلته هذه . بعد هذا كله من الطبيعي جداً أن يتحول البطل الاشكالي فرات في هذه الرواية الى شخصية مأزومة ، تحاول الهروب من واقعها الى منطقة وسطى بين الحلم، والحقيقة يقول:" اتعثر في ظلام ما جرى ، يتقوس ظهري ، أغني مثل علامة استفهام لألتقط نثاري ، واسترجع دخولي هذا النفق المظلم" (الرواية٩٩). فرات هنا يتخيل جسده وقد تحول من جديد إلى شكل علامة الاستفهام فهو الآن يشعر أنه بكل كيانه الانساني إنما يشكل علامة استفهام كبرى تساءل وبضراوة لماذا حصل هذا كله ؟ وكيف دخل هذا النفق المظلم ؟ ! الذي يبدو أنه دخله تحقيقاً لنبوءة زميله في الجامعة عندما قال له : " حيذبوك جوة" على أثر تشخيصه من قبل جهاز الامن

في الكلية بوصفه طالبا كثير الثرثرة وطويل اللسان .. هذه " الجوة" هي (الجوة) التي لم يتمكن فرات من الخروج منها حتى نهاية الرواية بل ظل مغيباً فيها ، اسيراً لحلم خلاصه ، و خلاص شعبه من جلاده, يحلم بالحرية، ويوم الخلاص وليكون بطلاً واعياً كان سقوطه نتيجة حتمية لرغبته التغيير مع عدم قدرته على ذلك. فكان بذلك حقاً بطلاً اشكالياً في رواية سياسية .

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة يمكن ان نستنتج الآتي:-

١. الرواية السياسية نمط سردي متفرع من رواية الواقعية الاجتماعية تحديداً.

٢. الرواية السياسية نص سردي يزاوج بين (الجمالي) في البناء والتشكيل أو (الايديولوجي) والسياسي في المضمون ، والموضوع ، ولا ينتصر للايديولوجي في النص على حساب الجمالي، فهي ليست منشوراً سياسيا او لافتات في مسيرة معارضة .

٣. الرواية السياسية هي تلك الرواية التي تعنى بمساءلة ، ونقد وفضح زيف ، ، وتمويه الخطاب السياسي للسلطة على مستوى التنظير وعلى مستوى التطبيق العملي عبر الممارسات اليومية للسلطة. وهي تعنى في الغالب بأدب السجون ، ومشكلات الديمقراطية، وحرية الرأي والتعبير، والعدالة الاجتماعية لتكون شاهداً على عصر ، او حقبة سياسية بعينها.

٤. البطل في الرواية السياسية بطل إشكالي على الدوام، مثقف ، وواعي، له موقف مناهض للسلطة وادواتها القمعية. مؤمن بالتغيير لكنه غير قادر عليه لضعفه ، وفردانيته امام تغول السلطة وقمعها .

٥. رواية اعجام ل(سنان انطون) رواية سياسية. بامتياز تنتمي الى إلى أدب السجون بما انطوت عليه من خصائص الرواية السياسية عبر بطلها الاشكالي (فرات) الطالب الجامعي ، النصراني، المثقف ، والكاتب الذي رمت به كتاباته ، ونكاته التي كان يطلقها حول السلطة في غياهب مديرية الامن العامة في بغداد ليظل مغيباً هناك إلى أجل غير مسمى.

التوصيات والمقترحات

اعادة قراءاة الكثير من الروايات العربية المعاصرة في ضوء مقولات النقد الادبي في الخصائص البنائية والفنية للرواية السياسية .

الهوامش

(١) صفدي ، مطاع ، نقد العقل الغربي (الحداثة ما بعد الحداثة)، مركز الانماء القومي ، ص٩٥ .

(٢) هويدي ، د.محمد عبد الحسين ، تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي ، دار شهريار ، البصرة ، ط / ١ ، ٢٠١٨ ، ص٣١ .

(٣) صابي ، إدريس، المثقف والسياسة، دار افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ٢٠١٤ ، ص٤٥ .

(٤) عطية ، احمد، الرواية السياسية ، مكتبة مدبولي ، مصر ، (د.ت)، ص١٠ .

(5) Blotner, J, The Political Novel,New York, 1955 , p.2.

(6) Howe, I, Politics and the Noud. Horizon Press Books, New York, Thind printing, November 1960, p.16-17.

(٧) وادي , د. طه , الرواية السياسية, مكتبة لبنان ناشرون , ط ١, ٢٠٠٣، ص٦.

(٨) المصدر نفسه ، ص٥٠ .

(٩) السيد اسماعيل ، د. محمد ، الرواية والسلطة، الحطيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩ ، ص٢٤.

(١٠) حمدي، د. حسين ، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط/١،١٩٩٤، ص٢٤.

(١١) فضل ، د. صلاح، اساليب السرد في الرواية العربية ، دار المدى للثقافة والنشر ،٢٠٠٣، ص٢٦.

(١٢) السيد اسماعيل ، د. محمد ، الرواية والسلطة، الحطيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩ ، ص٢٦.

(١٣) انطون ، سنان، اعجام ، منشورات الجمل ، بغداد ، ٢٠١٣، ١٢٥.
(١٤) الرواية ، ١٢٦.
(١٥) الرواية ،١٩.
(١٦) الرواية ،٢٠.
(١٧) الرواية ،٩٨.
(١٨) الرواية ،٩٩.
(١٩) الرواية ،١٤.
(٢٠) الرواية ،١٨.
(٢١) الرواية ،٣٥.
(٢٢) الرواية ،٣٥.
(٢٣) الرواية ،٣٨ ، ٣٩ ، ٤٥.
(٢٤) الرواية ،٤٤.
(٢٥) الرواية ،٥٩.
(٢٦) الرواية ،٧٦.
(٢٧) الرواية ،٨٤.
(٢٨) الرواية ، ١٠١.
(٢٩) الرواية ،١٠٢.
(٣٠) الرواية ،١٠٢.
(٣١) الرواية ،١٠٢.
(٣٢) وادي , د. طه , الرواية السياسية, مكتبة لبنان ناشرون , ط ١, ٢٠٠٣،ص٢٠.
(٣٣) الرواية ،١٠٠.
(٣٤) الرواية ،٥٩، ٧١ .
(٣٥) الرواية ،٧١.
(٣٦) الرواية ،٩٨.
(٣٧) الرواية ،٩٨.
(٣٨) الرواية ،٩٨.
(٣٩) الرواية ،٣٨.
(٤٠) الرواية ،٣٨.
(٤١) الرواية ،٤٩.
(٤٢) الرواية ،٤٩.
(٤٣) الرواية ،٧٤.
(٤٤) الرواية ،٩٨.
(٤٥) الرواية ،٩٩.

قائمة المصادر العربية:

١. ابن منظور، لسان العرب ، ت: عامر احمد حيدر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧١.
٢. السيد اسماعيل ، د. محمد ، الرواية والسلطة، الحطيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩.
٣. انطون ، سنان، اعجام ، منشورات الجمل ، بغداد ، ٢٠١٣.
٤. حمدي، د. حسين ، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط/١، ١٩٩٤ .
٥. صابي ، إدريس، المثقف والسياسة، دار افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ٢٠١٤.
٦. صفدي ، مطاع ، نقد العقل الغربي (الحداثة ما بعد الحداثة)، مركز الانماء القومي ، بيروت ، ١٩٩٠.
٧. عطية ، احمد، الرواية السياسية ، مكتبة مدبولي ، مصر ، (د.ت).
٨. فضل ، د. صلاح، اساليب السرد في الرواية العربية ، دار المدى للثقافة والنشر ،٢٠٠٣.
٩. هويدي ، د.محمد عبد الحسين ، تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي ، دار شهريار ، البصرة ، ط / ١ ، ٢٠١٨
١٠. وادي , د. طه , الرواية السياسية, مكتبة لبنان ناشرون , ط ١, ٢٠٠٣.

المصادر الاجنبية:

1. Blotner, J, The Political Novel,New York, 1955.
2. Howe, I, Politics and the Noud. Horizon Press Books, New York, Thind printing, November 1960.

List of Arabic References:

1. Ibn Manzur. Lisan al-Arab [The Arab Tongue]. Edited by Amer Ahmed Haidar, Dar al-Kotob al-Ilmiyah, Beirut, 1971.
2. Ismail, Dr. El-Sayed. Al-Riwayah wa al-Sultah [The Novel and Power]. Egyptian General Book Organization, 2009.
3. Antoon, Sinan. I'jam [I'jam: An Iraqi Rhapsody]. Manshurat Al-Kamel, Baghdad, 2013.
4. Hamdi, Dr. Hussein. Al-Ru'yah al-Siyasiyyah fi al-Riwayah al-Waqi'iyyah fi Misr 1965–1975 [The Political Vision in the Realist Novel in Egypt 1965–1975]. 1st ed., Maktabat Al-Adab, Cairo, 1994.
5. Saabi, Idris. Al-Muthaqqaf wa al-Siyasah [The Intellectual and Politics]. Dar Afrique Orient, Casablanca, 2014.

6. Safadi, Muta'. Naqd al-Aql al-Gharbi: Al-Hadathah Ma Ba'd al-Hadathah [Critique of Western Reason: Modernity and Postmodernity]. Center for National Development, Beirut, 1990.
7. Atiyyah, Ahmed. Al-Riwayah al-Siyasiyyah [The Political Novel]. Maktabat Madbouly, Egypt, n.d. [no date].
8. Fadl, Dr. Salah. Asalib al-Sard fi al-Riwayah al-Arabiyyah [Narrative Styles in the Arabic Novel]. Dar Al-Mada for Culture and Publishing, 2003.
9. Huwaidi, Dr. Muhammad Abd al-Hussein. Tamaththulat al-Sultah wa Marja'iyatuha al-Thaqafiyyah fi Riwayat Fuad al-Takarli [Representations of Power and Its Cultural Referents in the Novels of Fuad al-Takarli]. 1st ed., Dar Shahrayar, Basra, 2018.
10. Wadi, Dr. Taha. Al-Riwayah al-Siyasiyyah [The Political Novel]. 1st ed., Librairie du Liban Publishers, 2003.